مساهمة مُحَمَّد العيد آل خليفة في الحفاظ على الهوية الوطنية

The contribution of Mohammed Al-Eid Al Khalifa to preserving the national identity

د. فاطمة صغير[1]
Dr. Sghir Fatima
د.فتيحة بلحاجي[2]
Dr. Fatiha Belhadji
المركز الجامعي بمغنية تلمسان الجزائر
Maghniya University Center Tlemcen Algeria
diden.bb@hotmail.fr
fatihabelhadji13@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/02/29 تاريخ القبول: 2020/04/26 تاريخ النشر: 2020/06/02

الملخص: الشّعر الجزائريّ لبنة واضحة المعالم في الشّعر العربيّ الحديث، اِتّخذه القراء الجزائريون أداة لمقاومة المستدمر، وخطابا وطنيّا وقوميّا قويّا في سبيل صون الهويّة،، وذلك لخلود رسالته ونبل غايته، و غدوّه سلاحا، تذود به الأمّة عن حياضها ، وتتصدّى به لمشاريع أعدائها ، فتحبط سياستهم وتفضح مخططاتهم، ومن الشّعراء الذّين آمنوا برسالة الشّعر في الحياة و المجتمع، **محمّد العيد آل خليفة** الذّي نجد ديوانه الشّعري طافحا بلغة الدّفاع عن الهويّة الوطنيّة والقوميّة. وعليه نروم في هذا المقام الحديث عن **مسار الشعر الجزائري في مرحلة ما قبل الاستقلال** أو ما عرف **بشعر المقاومة والكفاح استجابة للحركة الإصلاحية في الجزائر**،ثم نعرج على دور **مُحَمَّد العيد آل خليفة في النهضة الفكرية** مثبتين ذلك بأدلة شعرية من منابع فيضه الشعري .

الكلمات المفتاحية: الشّعر الجزائريّ ، الهويّة الوطنيّة ، محمّد العيد آل الخليفة.

Abstract: Algerian poetry is a well-defined brick in modern Arab poetry, which Algerian readers have used as a tool to resist the persistent, strong national and national discourse in order to preserve identity, because of the immortality of its mission and nobility of its goal, and becoming a weapon that the nation defends from its menstruation and confronts the projects of its enemies, frustrating their policy Their plans are exposed, and among the poets who believed in the message of poetry in life and society, Muhammad Al-Eid Al Khalifa, whose poetry

1- المؤلف المرسل الأول: د. فاطمة صغير diden.bb@hotmail.fr
2- المؤلف المرسل الثاني: د.فتيحة بلحاجي fatihabelhadji13@gmail.com

collection we find overflowing with the language of defending national and national identity. Therefore, in this regard, we tend to talk about the path of Algerian poetry in the pre-independence stage, or what was known as the poetry of resistance and struggle in response to the reform movement in Algeria.
Key words: Algerian poetry; national identity ; Mohammed El-Eid Khalifa.

مقدمة:

معلوم أنّ الشّعر ديوان العرب ، سجّل مآثرهم ، وكشف أيامهم ، وصوّر مناحي حياتهم ، ولكونه اللّون الفني الوحيد القادر على أداء هذه الوظيفة بكيفية توفّق بين تقرير الحقيقة والمتعة الفنّية، حظي بعناية النّاس واهتمامهم واشترك في ذلك المبدعون والمتلقون مثلما يؤكّده أحد الدّارسين إذ يقول : "**ظلّ الشّعر يحظى بمكانة متفرّدة لدى منشئيه ومتلقيه ، وذلكم لروعته الإبداعية ، ولتضمّنه ما عاشوه من وقائع وأحداث ، وما صدر عنهم من بيان وحكمة ، ولتعبيره عن واقع مشاكلهم ، وما ينفعلون به من مشاعر وأحاسيس**"[1].

والظّاهر أنّ الشّعر شهد ذات المنزلة الرفيعة في كلّ البيئات وإبّان مختلف العصور والمراحل التّاريخية ، بما في ذلك الفترة المعاصرة ، رغم أنّ بعض الباحثين يشيرون إلى خفوت بريقه وتقهقر شعبيته ، بسبب مزاحمة أجناس أدبية جديدة ، وأنماط تعبيرية مستحدثة، قلّصت حضوره المتميّز الذي كان له طيلة العهود السابقة ، ونقصد بذلك أثر بعض الفنون النّثرية المتمثلة في القصّة ، الرواية والمسرحية[2].

غير أنّنا نلاحظ، استمرار حضوره بين شتّى فنون القول ، دليلا على عدم انطفاء شعلته ، ودوام إشعاعه، بعيدا عن الضّمور ، والذّبول، وذلك لخلود رسالته ونبل غايته، فهو لصيق بحياة النّاس، يصف آلامهم ويعبّر عن آمالهم ، لدرجة غدوّه سلاحا، تذود به الأمّة عن حياضها ، وتتصدّى به لمشاريع أعدائها ، فتحبط سياستهم وتفضح مخططاتهم، مثلما كانت الحال عليه بالنّسبة للعديد من الأقطار العربيّة والواقعة في قبضة الاستدمار الغربي نحو "الجزائر" التي كانت هدفا إستراتيجيا للمحتلّين الغاصبين ، منذ فجر التّاريخ، نظرا لخصوبة أراضيها ، وغنى مساحتها بالثّروات الطّبيعية ، فضلا عن موقعها الهام ، إذ تعدّ بوّابة المغرب العربي والقارة الإفريقية.

ومثلما هو مسجّل على صفحات التاريخ، فإنّ الشّعب الجزائريّ، لم يُرحّب بالمعتدين، وإنّما رفض وجودهم على أرضه، وظلّ يذكي الثّورات في مختلف ربوع الوطن ، بهدف مقاومة الاحتلال ، واسترجاع سيادته وحريته، وقد شاركت في تلك المواجهة مختلف

الطّبقات والفئات الاجتماعية، وهو ما تعكسه ثورة أوّل نوفمبر المجيدة حيث استقطبت الأطبّاء والطّلبة والفلاحين وعامة البسطاء من النّاس، كلّ يؤدي دوره بحسب ما يحوز من قدرات وإمكانيات.

1-مسار الشّعر الجزائريّ الحديث في مرحلة ما قبل الاستقلال:

والحقيقة أنّ فتيل المقاومة، ازداد شرارة بعد التحاق فئة أخرى، بجبهة القتال، وإن لم تحمل البنادق والمدافع لأنّها تصنع من الكلمات رشاشات ، تقذف لهيبا حارقا، في وجه المستعمر، إنّها طائفة الشّعراء الذين نذروا أقلامهم ، وقبلها أعمارهم للذّود عن كلّ ما هو جزائريّ.

وهكذا نهض لفيف من أهل القريض، ليشدّ أزر حملة السّلاح ، ويضيف لُحمة جديدة إلى ثورة الكفاح فينقل أصداءها، خارج الجبال والرّوابي، ليسمعها العالم فيشهد معاناة أهلها ، وما يجابهونه في سبيل انعتاقهم ، فكان أن ظهر ما يسمّى **بشعر المقاومة والكفاح في الجزائر** ، وهو تيّار أفرزته، معطيات مرحلة الاستعمار التي عمِل ساستها على إغراق الأهالي، في دوامة السّبات ، دفعا لأيّة مناهضة ، فكان لزاما على رواد هذا الشّعر الاضطلاع برسالة توعية النّاس بالواقع المرّ الذي يعيشونه، وبضرورة رفضه ، والسّعي إلى تغييره.

وللعلم فإنّ الشّعر الجزائريّ الحديث، لا يرجع ظهوره فقط إلى فترة **الحركة الإصلاحية**، بل يمتدّ إلى ما قبلها ، لأنّنا نجد نصوصا شعرية انطلقت من الزّوايا والكتاتيب والمساجد ، عمِل ناظموها على تجسيد طبيعة الثّقافة التي كانت تُزاول في مثل تلك المراكز التعليمية، وهي في العموم ثقافة دينية ، متّصلة بالعلوم الشّرعية ؛ ولذلك عمّ القول، وشاع في الأغراض الدّينية كالتّغنّي بالأولياء الصّالحين ، وكبار المشايخ ، إضافة إلى التّغزّل بالذّات الإلهية ، ومدح الرّسول ﷺ[3].

إنّ سيطرة هذا الاتّجاه، على شعر شعراء ما قبل **النّهضة الإصلاحية**، عائد إلى اعتبارهم الدّين الإسلامي الملاذ الوحيد، للحفاظ على مقوّمات الشّخصية الجزائريّة[4]، علما أنّه لا يمكن الجزم بعدم خوض الشّاعر الجزائريّ، في فنون شعرية أخرى كالفخر ، والرّثاء والغزل ، دون أن نهمل قرضه في المنظومات العلمية المتّصلة بالنّحو، والبلاغة والمنطق والفقه والتوحيد[5].

وللإشارة فإنّ الدّارسين المطّلعين على الشّعر الجزائريّ ، إبّان هذه الفترة الزّمنية يجمعون على أنّ مستواه متردي بسبب ركاكة معانيه ، وابتذال ألفاظه ، وجمود عاطفة قائليه، فخلا إثر ذلك من كلّ الملامح الجمالية، ولم تعد نصوصه، سوى قوالب جافة، تغلب عليها أجراس التّفعيلة، ويسودها التّقليد والتّكلف ، بسبب عدم إدراك النّاظمين للمفهوم الحقيقي

للشّعر، الأمر الذي أدّى بهم إلى عدم التّفريق بين لغة الشّعر ، ولغة العلوم الشّرعية ، فكان أن فقد الشّعر بريقه ، وخفت صوته، وقلّ أنصاره ومحبّوه.

والواقع أنّ حالة التّردي هذه التي لازمت الشّعر الجزائريّ ، قبل الحركة الإصلاحية لم تدم، فسرعان ما بدأت تلوح في الأفق بوادر نهضة أدبية ، مع بداية القرن العشرين ، على يد فريق من الشّعراء ، الذين تأثروا بالنّهضة المشرقية الإصلاحية[6]، حيث عملوا على الارتقاء بالإبداع الشّعري شكلا ، ومضمونا ، بعد تيقنهم من أثر الأدب في الحياة الاجتماعية ودوره الفعال في توجيه الفرد الجزائريّ توجيها صحيحا، يجعله يعتزّ بثوابته خاصة اللّغة والدّين ، ومن ثمّ شرع هؤلاء الرّوّاد يصوّرون جوانب من واقع الشّعب الجزائريّ كالجهل والفقر والاستعباد ، كما بدأت المشاعر الوطنية ، ودعوات الإصلاح، تطرق قصائدهم الشّعرية، إيذانا بمرحلة جديدة يواكبها الشّعر الجزائريّ ، تتمثل في **مرحلة الإصلاح** التي انبثقت عن النّهضة الإصلاحية ، في بلاد المشرق ، وحمل لواءها مثقفون تخرجوا من معاهد مصرية ، وأخرى تونسية ، طبقا لقول الشّيخ البشير الإبراهيمي "**حمل أولئك النّفر من مصر، ومن تونس إلى الجزائر ، قبسا خافتا من الأدب العربي ، كان كافيا في تحريك القرائح والأذهان...**"[7].

واستجابة لهذا التّغيير ، عمد **شعراء الحركة الإصلاحية في الجزائر**، إلى نشر إبداعاتهم الشّعرية في الصحف العربيّة ، المهتمّة **بالأدب الهادف** الذي استقطب أقلام الكتاب أو الشّعراء ، من ذوي المواهب المتفتّحة التي أخذت على عاتقها مهمّة إحياء الشّخصية العربيّة الإسلامية ، وقد أشار إلى هذه الغاية رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر الإمام ابن باديس قائلا : "**الحقيقة التي يعلمها كلّ واحد، أنّ هذه الحركة الأدبية ، ظهرت واضحة ، من يوم أن برزت جريدة المنتقد ، فمن يوم ذاك عرفت الجزائر ، من أبنائها كتّابا وشعراء ، ما كانت تعرفهم من قبل...**"[8].

وهكذا توالى ظهور الصحف الوطنية، المعتنية بالأدب ، والمشجّعة للنّهضة الأدبية كالشّهاب (1925) وصدى الصحراء (1925) والإصلاح (1927) وغيرها من الجرائد التي سارت على نهج جريدة المنتقد (1925) ، إذ واظبت على تشجيع الشّعر ، فغدا بذلك إنتاجا غزيرا مثّلته عدّة أسماء، ساهمت في إثراء الحركة الشّعرية السّاعية إلى تنوير العقول، واستنهاض الهمم، مما جعل الدّارسين يجمعون على أنّ الشّعر الجزائريّ الحديث، إنّما يتّصل بالفترة التي قامت فيها النّهضة الإصلاحية[9].

كما يتّفق الباحثون بشأن الأثر الطّيب ، والإيجابي **للحركة الإصلاحية** في الشّعر الجزائريّ، حيث تعدّدت أغراضه ،و تنوعت موضوعاته ، تماشيا مع الواقع الاجتماعي ، إذ برز **الشّعر الوطني الإصلاحي والاجتماعي والسّياسي** ، كما شهد تطورا ملموسا من

الناحية الفنية ، فصار الشّعراء ينأون عن المقدّمات التّقليدية المتكلّفة ، ويتجنبون لغة المنظومات العلمية ، الفقهية ، وتتحاشون الصّناعة اللّفظية، فاكتسب بذلك التّعبير الشّعري نوعا من الحيوية، والانطلاق ، بعد أن تغيرت النّظرة إلى الشّعر ، واستوعب المجتمع دوره في الحياة(10).

وللإشارة فإنّ هذا التّطوّر الملموس الذي عرفه الشّعر الجزائريّ، يترجمه أوّل ديوان شعري ، عُرف **بشعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي السنوسي الزاهري** وهو يمثّل الخطوات الأولى للشعر الجزائريّ نحو الحداثة ، ممّا حمل الكثير من المثقّفين والمتخصصين على الثّناء عليه والإشادة بأهمّيته مثلما نلمحه في قول الشيخ مبارك الميلي "**هو مبدأ لتاريخ حياة أدبنا الجديد... فقد شعر شعراؤنا بحياة جديدة ، فنفضوا أيديهم من ذلك الأدب البالي المشوّه بلغة التأليف ، ونفضوا إلى الأدب الغضّ، واستمدّوا منه شعورهم الرّقيق الطّاهر... وعلى أمثال هؤلاء الشّباب نعلّق آمالنا في تجديد الأدب الجزائريّ ، ورفع مستواه**"(11).

وهكذا نصل إلى أنّ الشّعر الجزائريّ الحديث ، آزر **الحركة الإصلاحية السّاعية** إلى بعث ثوابت الأمّة والدّفاع عن مقومّات شخصيّتها التي كانت هدف الاستعمار، يريد طمسها ، بغية إلحاق أبناء الجزائر بالقومية الفرنسية ، ولذلك وجدناه يحارب الدّين واللّغة والانتماء العربي، فكان أن اتخذ المصلحون الشّعر إحدى أدوات المقاومة ، وأوكلوا إلى الشّعراء مهمّة توعية الفرد، وتوجيهه إلى التمسك بثوابته والاعتزاز بقوميته ووطنيته حتى لا تذوب معالم شخصيته ، وتضمحل وسط الغزو الثقافي الغربي الجارف.

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الرّسالة الهادفة للشّعر ، ترسّخت في الأوساط المثقّفة والمبدعة ، بعد تأسيس **جمعية العلماء المسلمين سنة 1931** التي كان ضمن أعضائها وروادها العديد من الشّعراء الجزائريّين ، الذين آمنوا بأهدافها ، وتبنوا مراميها ، ولعلّ **الشّاعر الجزائريّ محمّد العيد آل خليفة واحد منهم** إذ ارتبط اسمه بالهويّة الوطنيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الهويّة مصطلح متداول لدى الأمم قديما وحديثا، ودلالته متغيّرة من بيئة إلى أخرى، بل ومتنوعة تبعا للسياقات اللغوية والتاريخية والفلسفية والإيديولوجية بدليل إجماع الأمصار العربيّة على مفهومه بسبب اشتراكها في المقومات نفسها.

وبالنسبة للجانب اللّغوي فإنّ كلمة هويّة تقابلها في الاستخدام الأجنبي كلمة identity بمعنى الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ما هو عليه أي له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر، وهي في لغتنا العربية مصدر صناعي يتألف من ضمير المفرد الغائب، المسبوق بأل التعريف واللاحقة " ي " المقرونة بتاء التأنيث(12).

وإذا كنا لا نظفر بمفهوم لغويّ دقيق لهذا المصطلح في المعاجم اللّغويّة العربية، فإنّ كتابات الفلاسفة لم تخل من الإشارة إليه، ولعلّ المفهوم الذي قدّمه الفارابي (ت 339هـ) يعدّ الأكثر نصاعة إذ يجعل هويّة الشيء عينه وخصوصيته وتشخيصه ووجوده المتفرّد[13]

وحديثا ارتبط مفهوم الهوية بالذات الفردية أو الجماعية، حين تكون قادرة على الاستمرار ككيان موحد، بعيدا عن التحوّل والتّغير، وفي سبيل تشكيلها تتعاضد المؤسسات الاجتماعيّة كالأسرة والمدرسة من أجل إرساء مقوماتها وترسيخها في ذهن الفرد.

2-محمّد العيد آل خليفة شاعر النّهضة الفكريّة في الجزائر:

والواقع أنّ اختيارنا لهذا الشّاعر دون غيره من الشّعراء المصلحين الذين ذادوا عن الهوية الوطنية ، يرجع إلى اعتباره شاعر النّهضة الفكريّة في الجزائر ، وأمير شعرائها ، إذ نهض بالأدب العربي في هذا الوطن المفدّى ، بعد أن كادت تبتلعه موجة الفرنسية[14]، فاستحقّ التّقدير ، والعرفان من رواد الأدب العربي في بلاد المشرق فهذا **شكيب أرسلان** يثني عليه قائلا : "**إنْ كان في هذا العصر، شاعر يصحُّ أن يُمثّل البهاء في سلاسة نظمه، وخفّة روحه ، ودقّة شعوره ، وجودة سبكه ، واستحكام قوافيه التي يعرفها القارئ ، قبل أن يصل إليها ، وإنّ التّكلف لا يأتيه من بين يديه ، ولا من خلفه ، فيكون مُحَمَّد العيد... كان يظنّ أنّ القطر الجزائريّ تأخر عن إخوته في سائر الأقطار العربيّة، في ميدان الأدب ، ولاسيما في الشّعر، ولعلّه بعد الآن سيعوّض الفرق، بل يسبق غيره، بمحمد العيد**"[15].

إنّ تبوّأ شاعر الشّباب كما يسمّيه الشّيخ الإبراهيمي لهذه المنزلة، يعود إلى عدّة عوامل منها: مجيئه بعد فترة ركود في الحركة الشّعرية في الجزائر، وكذلك لأنّ معظم تجاربه مستوحاة من صميم الحياة الشّعبية ، بما تحويه من شقاء وأمل وصراع[16].

ولد شاعرنا، في مدينة عين البيضاء سنة 1904 لأب صوفي صالح ، فنشأ في جوّ أسري مفعم بالدّين والورع ، فكان من البديهي أن يُقبل على حفظ القرآن الكريم، والتزوّد بالمعارف الشّرعية، ولذلك تاقت نفسه إلى الارتحال ، بغية الانتساب إلى معقل من معاقل الثّقافة الإسلامية ، فاتّجه صوب تونس ، والتحق بجامع الزيتونة سنة 1921 ، وبعد انقضاء سنتين، عاد إلى بسكرة ، ليتصل بالبشير الإبراهيمي والطيّب العقبي ، وينهل من معارفهما في الفقه والتّفسير وعلوم اللّغة كالبلاغة[17].

استهل الشّاعر نشاطه الإصلاحي بالتّعليم، في مدرسة الشّبيبة الإسلامية الحرة، كما ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي اتخذ صحفها، وجرائدها منبرا لإذاعة أفكاره، وآرائه من خلال نشر القصائد الشّعرية في **صدى الصحراء، والمنتقد، والإصلاح، والمرصاد، والسنّة ، والصّراط ، والشريعة، والشهاب ، والبصائر** ، إلى أن انتبهت الإدارة

الاستعمارية إلى دعوته المناهضة ، فأضحى عرضة للتحقيق ، والاستنطاق والملاحقة، ثمّ السّجن ، والإقامة الجبرية في بسكرة إلى غاية الاستقلال[18].

ومع ذلك لم يتوان عن مقاومة الاحتلال، فكان يدعو صراحة إلى النّضال فيقول[19]:

نَحْنُ الشَّبَابُ العَتِيدُ فِي النِّضَالِ سُدْنَا وَأَنْفُ العِدَى فِي التُّرَابِ

لقد تيقّن الشّاعر ، من مهمته التّاريخية ومن دوره في النّضال الوطني، وواجبه في حماية هوية أبناء وطنه وأمّته ، ولذلك راح يعرّفهم بعناصر تلك الهوية ، وعلى رأسها **الإسلام** الذي لم يسلم من دسائس الاستعمار ، طمعا في تشويهه ، ورميه بالخرافات، والاعتقادات البالية، ولذلك نراه يكشف حقيقة الدّين الحنيف فيقول[20]:

دِينُ المَرَافِقِ وَالمَرَا شِدِ وَالمَكَارِمِ وَالعِصَمِ
دِينُ السَّمَاحَةِ فِي الفَرَا ئِضِ وَالعَدَالَةِ فِي القِسَمِ
دِينُ اشْتِرَاعِ الصَّالِحَا تِ وَدِينُ إِيفَاءِ الذِّمَمِ

وعن أصحاب البدع، المضرّة بالإسلام يقول[21]:

يَا رَبِّ مَنْ كَانَ فِي الإِسْلاَمِ مُبْتَدِعاً مِنَّا فَوَفِّقْهُ لِلإِقْلاَعِ وَالنَّدَمِ
أَوْلاَ فَعَاجِلْهُ وَاكْفِ الشَّعْبَ فِتْنَتَهُ بِمَا تَشَاءُ مِنَ الآيَاتِ وَالنِّقَمِ

والإسلام شريعة الله في الأرض ، أحاطه تعالى بالعناية والحفظ ، والصّمود في وجه الكائدين له فيقول[22]:

حَكَمَ اللهُ لِلْهُدَى بِالظُّهُورِ رَغْمَ حَرْبَ الهَوَى وَحَرْبِ الفُجُورِ
وَأَلاَنَ الصُّدُورَ لِلدِّينِ حَتَّى أَصْبَحَ الدِّينُ رَاحَةً لِلصُّدُورِ
لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ كَيْدَ الأَعَادِي بَعْدَ إِيغَالِهِ وَرَاءَ البُحُورِ
فَلَهُ مِنْ إِلاَهِهِ خَيْرُ وَاقٍ وَعَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ خَيْرُ سُورِ

ويحذر النّشء ، من الوقوع في شراك الشّرك ، فيقول[23]:

وَاحْذَرْ شِرَاكَ الشِّرْكِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ شَتَّى المَظَاهِرِ جَمَّةُ الأَنْوَاعِ
الشِّرْكُ دَاءٌ فِي البَرِيَّةِ كَامِنٌ مُسْتَفْحِلُ الأَضْرَارِ وَالأَوْجَاعِ
الشِّرْكُ سِتْرٌ حِيكَ مِنْ نَسْجِ الهَوَى غَطَّى عَلَى الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ

ولما حاول "آشيل" الطّعن في القرآن الكريم، والجهر بأنّه كتاب مثير للحرب تصدّى الشّاعر لهذيانه فقال[24]:

قُلْ لِلذِينَ رَمَوْا هَذَا الكِتَابَ بِمَا لَمْ يَتَّفِقْ مَعَهُ شَرْحٌ وَتَأْوِيلُ
فَاعْزُوا الأَبَاطِيلَ لِلقُرْآنِ وَابْتَدِعُوا فِي القَوْلِ هَيْهَاتَ لاَ تُجْدِي الأَبَاطِيلُ

وَازْرُوا عَلَيْهِ كَمَا شَاءَتْ حُلُومُكُمْ فَإِنَّهُ فَوْقَ هَامِ الحَقِّ إِكْلِيلُ
مَاذَا تَقُولُونَ فِي آيٍ مُفَصَّلَةٍ يُزَيِّنُهَا مِنْ فَمِ الأَيَّامِ تَرْتِيلُ
آيَاتُهُ بِهَدْيِ الإِسْلاَمِ مَا بَرِحَتْ تَهْدِي المَمَالِكَ جِيلاً بَعْدَهُ جِيلُ

وفي مقام آخر، نجده يوصي طلبة العلم بمدارسة القرآن فيقول[25]:

فَتَدَارَسُوا القُرْآنَ فَهْوَ هُدًى لَكُمْ وَشِفَاءُ أَنْفَسَكُمْ مِنَ الأَسْقَامِ

ولا يهمل محمّد العيد فضل حامل رسالة الإسلام، فيعمل على التنويه بخصاله ، ويوصي النّشء بالاقتداء به فيقول[26]:

بِمُحَمَّدٍ أَتَعَلَّقُ وَبِخُلُقِهِ أَتَخَلَّقُ
إِنَّ التَّعَلَّقَ بِالرَّسُو لِ وَدِينِهِ بِي أَلْيَقُ
أَنَا مُسْلِمٌ أَهْوَى الهُدَ بِسِوَاهُ لاَ أَتَحَقَّقُ
بِخِلاَلِ أَحْمَدَ أَرْتَدِي وَبِحُبِّهِ أَتَمَنْطَقُ
لاَ يَنْمَحِي شَعْبٌ بِشَا رَاتِ الرَّسُولِ مُطَوَّقُ

وتحظى **اللّغة العربيّة** بنصيب وافر من الحضور في ديوان الشّاعر، فيدعو الجزائريّين عامة وطلبة العلم خاصة إلى الإقبال عليها، ورعايتها فيقول[27]:

لاَ تُهْمِلُوا هَذَا اللِّسَانَ فَفَقْدُكُمْ فِي فَقْدِهِ وَدَوَامُكُمْ بِدَوَامِهِ

ويطالب الشّاعر بتشييد المدارس والمعاهد، من أجل تعليم هذه اللّغة الشّريفة فيقول[28]:

بَنِي وَطَنِي أَعْلُوا المَدَارِسَ تُعْلِكُمْ بِتَعْلِيمِ جُهَّالِ وَإِرْشَادِ ضُلاَّلِ
وَصُونُوا بِهَا الفُصْحَى الَّتِي بِكِتَابِكُمْ أَشَادَتْ بِبُرْهَانِ وَسَاغَتْ كَسِلْسَالِ

ويظل يدعو إلى إحياء الفصحى التي سعى العدوّ إلى وأدها ، قصد تجريد الأمة من شخصيتها، فيقول منبّها ، ومذكّرا[29]:

تَحِنُّ إِلَى نَيْلِ الحُقُوقِ نُفُوسُنَا وَتَأْبَى عَلَيْنَا نَيْلَهَا قُوَّةُ الغَشْمِ
وَنُقْصَى عَنِ الفُصْحَى وَنُلْهَى بِغَيْرِهَا وَلَيْسَ سِوَى الفُصْحَى لِسَانٌ لَنَا رَسْمِي
وَمَا نَحْنُ إِلاَّ مِنْ سُلاَلَةِ يَعْرُبٍ فَمَنْ رَامَ عَنْهَا فَصْلَنَا بَاءَ بِالرَّغْمِ

كما يدعو الجماهير إلى الإلتفاف حول مشروع التّعريب، فيقول[30]:

كُونُوا مَعَ التَّعْرِيبِ وَاحْمُوا جَنْبَهُ لاَ تَنْسَخُوهُ بِنُقْطَةِ الإِعْجَامِ

ولم يكتف شاعر الجزائر، بالانتماء الوطني، بل امتدّ حرصه إلى الانتماء القومي، ولذلك راح ينوّه بوحدة الشّعوب العربيّة، كاشفا مآسيها تارة ، ومتغنيا بأفراحها تارة أخرى ، يقول[31]:

وَلَنَا أُمَّةُ العُرُوبَةِ أُمٌّ ذَاتُ عَطْفٍ عَلَى الجَزَائِرِ حَانِ

وَحْدَةُ المَغْرِبِ اسْتَعَدَّتْ ظُهُوراً وَاسْتَعَزَّتْ بِوَحْدَةِ العُرْبَانِ
فَتَحَتْ لِيبْيَا إِلَيْنَا يَدَيْهَا وَعَلَى الأَوْسَطِ انْحَنَى المَغْرِبَانِ
وَإِلَيْنَا الحِجَازُ وَاليَمَنُ انْحَا زَا وَجَادَ الكُوَيْتُ بِالرَّنَّانِ

ويؤكّد الانتماء الأصيل لجميع الشّعوب العربيّة، فيقول[32]:

إِنَّ العُرُوبَةَ أُمُّنَا الكُبْرَى الَّتِي فِي الأُمَّهَاتِ نَظِيرُهَا لاَ يُوجَدُ
قَدْ أَنْجَبَتْنَا كَالسُّيُوفِ مَوَاضِياً فِي الضَّرْبِ عَضْبٌ كُلُّنَا وَمُهَنَّدُ
تَبْنِي العُرُوبَةُ مِنْ جَدِيدٍ قَلْعَةً مِنْ حَوْلِهَا قَصْفُ المَدَافِعِ يُرْعِدُ
فَلْتَحْيَ وَحْدَتُنَا بِهَا فِي مَنْعَةٍ وَمِنَ المُحِيطِ إِلَى الخَلِيجِ تُمَدَّدُ

والظّاهر أنّ جرح الجزائر وآلام شعبها، لم ينسه الجرح الفلسطيني ، فيعبّر عن أمله في انعتاق هذا القطر قائلا[33]:

فَمَتَى نَرَى شَعْبَ العُرُوبَةِ آمِناً فِي الأَرْضِ مِنْ شَعْبِ اليَهُودِ الخَاسِرِ
وَنَرَى فِلِسْطِينَ اسْتَعَادَتْ عَهْدَهَا وَإِلَى حِمَاهَا عَادَ كُلُّ مُهَاجِرِ
وَنَرَى اليَهُودَ جَلَوْا هُنَاكَ كَمَا جَلَوْا عَنْ أَرْضِ يَثْرِبَ فِي الزَّمَانِ الغَابِرِ
السَّافِكِينَ دَمَ النُّبُوَّةِ شِقْوَةً وَالسَّاجِدِينَ هَوًى لِعِجْلِ السَّامِرِي

أمّا **الجزائر**، فإنّه من الطّبيعي أن تحضر بقوة في شعره، كما أنّه ليس من الغريب أن تظفر بمعظم قصائده ، فهو الشّاعر الوطني الذي سخر في سبيلها نظمه، وحمل همّها في فكره وإبداعه ، ولاقى جراء ذلك النّصب الشّديد ، لكنّه لم يبالي لأنّ جلّ اهتمامه انصبّ على حريّة وطنه ، وسلامة أراضيه ، وبقائه معزّزا لذويه ، يقول في إحدى منظوماته معبّرا عن حبّه للجزائر[34]:

بِلاَدِي فِدَاكِ الرُّوحُ وَاللهُ عَالِمٌ عَلَيْكِ سَلاَمٌ خَالِصُ القَصْدِ سَالِمُ
يُحَيِّيكِ مُشْتَاقٌ عَلَى القُرْبِ مُشْفِقٌ مِنَ البُعْدِ مَشْغُوفٌ بِحُبِّكِ هَائِمُ
وَهَبْتُكِ رُوحِي يَا جَزَائِرُ فَامْرِي كَمَا شِئْتِ إِنِّي خَاضِعٌ لَكِ خَادِمُ

ويئنّ لأسر الجزائر فيقول[35]:

أَزْرَى بِنَا الذُّلُّ يَا خَلِيلِي فَهَل إِلَى العِزِّ مِنْ سَبِيلِ ؟
بِلاَدُنَا أَصْبَحَتْ ذَلُولاً أَسِيرَةً فِي يَدِ الدَّخِيلِ

ولما انتفض الشّعب للخلاص ، بارك الشّاعر ثورته ، وراح يمجّد شهرها المقدّس الذي شهد شرارتها الأولى ، فيقول[36]:

نُوفَمْبَرُ أَذْكَى مِنَ فُؤَادِي شُعُورَهُ وَأَلْهَبَ إِحْسَاسِي وَأَلْهَمَنِي الشِّعْرَا
نُوفَمْبَرُ جَلَّى عَنْ بِلاَدِي ظُلاَّمَهَا نُوفَمْبَرُ فِي آفَاقِهَا أَطْلَعَ الفَجْرَا

أَذَاقَ فِرَنْسَا عَلَقَماً بِكِفَاحِهِ وَمِنَّا بِفَضْلِ الصَّبْرِ جَرَّعَهَا الصَّبْرَا
وَثَبْنَا عَلَيْهَا كَالنُّمُورِ جَرَاءَةً وَثُرْنَا كَأُسْدِ الغَابِ نُرْعِبُهَا زَأْرَا
وُقُمْنَا إِلَى رَشَّاشِنَا بِرَصَاصِنَا نُفَنِّدُ دَعْوَاهَا وَنُبْطِلُهَا جَهْرَا

وإذا كانت هناك طائفة تستحق العرفان والتّمجيد، وإليها يرجع الفضل في جملة الانتصارات التي حققتها الجزائر ضدّ جنود الاحتلال، فإنّها **جيش التّحرير** ، ولذلك أشاد الشّاعر ببطولاته فقال[37]:

نَحْنُ جَيْشُ التَّحْرِيرِ جُنْدُ النِّضَالِ نَحْنُ أُسْدُ الفِدَى نُمُورُ النِّزَالِ
وَدَمْدَمَ الطَّبْلُ للنَّفِيرِ فَثُرْنَا وَهَزَزْنَا البِلاَدَ كَالزِّلْزَالِ
وَاتَّخَذْنَا مِنَ الجِبَالِ قِلاَعاً نَقْرَعُ السَّمْعَ بِالصَّدَى كَالجِبَالِ
كَمْ أَقَمْنَا شَوَاهِدَ الحَقِّ فِيهَا وَضَرَبْنَا شَوَارِدَ الأَمْثَالِ
وَأَدَرْنَا رَحَى الوَغَى فَانْتَصَرْنَا وَأَذَقْنَا الأَعْدَاءَ مُرَّ النِّكَالِ

ولأنّ ثورة الشّعب الجزائريّ غذّتها العديد من الأرواح الطّاهرة ، فكان لزاما على الشّاعر، تخليد ذكرى الذين قدّموا حياتهم، قربانا ، فداء للوطن ، وممّا قاله عنهم[38]:

رَحِمَ اللهُ مَعْشَرَ الشُّهَدَاءِ وَجَزَاهُمْ عَنَّا كَرِيمَ الجَزَاءِ
وَسَقَى بِالنَّعِيمِ مِنْهُمْ تُرَاباً مُسْتَطَاباً مُعَطَّرَ الأَرْجَاءِ
لاَ تَخَلْ مَعْشَراً قَضَوْا فِي سَبِيلِ اللَّـ ـهِ مَوْتَى بَلْ هُمْ مِنَ الأَحْيَاءِ
إِنَّهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَوْلَ رِزْقٍ مِنْهُ فِي نِعْمَةٍ وَفِي سَرَّاءِ

ولم يفت الشّاعر التّغنّي برمز سيادة الجزائر ، حيث راح يصف **علمها** قائلا[39]:

عَلَمُ الجَزَائِرِ يَا رَفِيعَ الشَّانِ أَشْرِفْ وَرَفْرِفْ زَاهِيَ الأَلْوَانِ
فِي حُلَّةٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ مُوَشِّيَةً بِهِلاَلِكَ المَرْجَانِي
فَوْقَ الإِدَارَاتِ الشَّوَامِخِ لِلعُلاَ وَعَلَى قِلاَعِ جُنُودِنَا الشُّجْعَانِ

3. الخاتمـة:

وهكذا نخلص، إلى أنّ الشّاعر "مُحَمَّد العيد آل خليفة" قد أولى عناصر الهويّة الوطنيّة عناية بالغة في إنتاجه الشّعري ، فكان بذلك أحد الشّعراء المصلحين الذين اتّخذوا الشّعر، أداة لطرق قضايا الأمة والوطن ، مؤكّدا رسالة الأدب في الحياة، ودور الأديب في مجتمعه.
وهذه المهمة النبيلة تترجمها . كما لاحظنا . نصوصه الشعرية منذ فترة الاحتلال إلى غاية الاستقلال؛ إذ ناضل من أجل الحفاظ على مقومات الهوية بداية بالدّين الإسلامي لأنه شريعة الخالق في الأرض، ولذلك وجب النّأي فيه عن البدع المضرّة بمبادئه السمحة والتّصدي

لكلّ من يحاول الطّعن في كتابه المقدّس " القرآن الكريم " الذي ينبغي أن يتدارسه حملته ويعلموا هديه للأجيال.

ولأنّ اللغة العربية مقوّم لا غنى عنه في المجتمع الجزائري المسلم، خصّها هي الأخرى بالعناية في ديوانه الشعري، فدعا إلى الإقبال على تعلّمها والإعلاء من مكانتها باستخدام الفصحى والالتفاف حول مشروع التعريب لأنّه مشروع أمّة بأكملها.

والشاعر مُحَمَّد العيد آل خليفة على اعتزازه بوطنه الجزائر فإنّه أيضا يعتز بانتمائه إلى القومية العربية بدليل اهتمامه بالقضية الفلسطينية في شعره القومي.

4 . الهوامش:

(1)- رحلة مع الشّعر العربي ، مُحَمَّد المختار ولد أباه ، مركز نجيبوَيه للطباعة والنشر، مصر ، القاهرة، ط2، 2001 ، ص 3.

(2)- ينظر المرجع نفسه ، ص 3.

(3)- ينظر الشّعر الجزائري الحديث : اتجاهاته وخصائصه الفنية ، مُحَمَّد ناصر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985، ص 19.

(4)- ينظر الشّعر الديني الجزائري الحديث ، عبد الله الركيبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ط ، 1981، ص 02.

(5)- ينظر الشّعر الجزائري الحديث ، مُحَمَّد ناصر ، ص 20.

(6)- ينظر النهضة العربية في الجزائر في القرن الرابع الهجري، سعد الدين بن أبي شنب، مجلة كلية الآداب ، جامعة الجزائر ، العدد الأوّل ، 1964، ص 18.

(7)- مُحَمَّد العيد آل خليفة ، رائد الشّعر الجزائري الحديث أبو القاسم سعد الله ، دار المعارف، مصر، ط2 ، 1975 ، ص 08.

(8)- جريدة الشهاب ، عبد الحميد بن باديس ، ج1 ، م5، فيفري 1930.

(9)- ينظر دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله ، دار الآداب ، بيروت ، د.ط ، 1966، ص 28.

(10)- ينظر الشّعر الجزائري الحديث :اتجاهاته وخصائصه الفنية ، مُحَمَّد ناصر ، ص 30 ، 31.

(11)- شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مُحَمَّد الهادي السنوسي الزاهري ، ج2 ، مطبعة النهضة ، تونس ، 1926، ص 08.

12 . ينظر اللّغة ومستقبل الهويّة ، ضياء الدّين زاهر، أوراق سلسلة تصدر عن وحدة الدّراسات المستقبلية بمكتبة الإسكندرية، العدد:24، 2017، ص27.

13 . ينظر الهوية والتعليم، سعيد اسماعيل علي، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 2005، ص 23، 24.

(14)- ينظر شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، أحمد دوغان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 ص 13.

(15)- ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3 ، د.ت ، ص : د.

(16)- ينظر تجارب في الأدب والرحلة ، أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص 35.

(17)- ينظر شاعر الجزائر مُحَمَّد العيد آل خليفة ، أبو القاسم سعد الله ، الدار العربية للكتاب ، ط3 ، ص 86.
(18)- ينظر صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، عمر بن قينة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ط ، د.ت، ص 361 ، 362.
(19)- ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة، المكتبة الشاملة الحديثة ، ص 515 .الرابط – https ;/l al maktaba.org book 32691 /5/ 6hp1
(20)-ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة ، ص 100.
(21) - المصدر نفسه ، ص 103.
(22) - المصدر نفسه ، ص 105.
(23) - المصدر نفسه ، ص 140.
(24) - المصدر نفسه ، ص 85.
(25) - مُحَمَّد العيد آل خليفة شاعر الجزائر ، حسن فتح الباب ، الدار المصرية اللبنانية ، ط2 ، 2004 ، ص 44.
(26) - ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة ، ص 167 ، 168.
(27) - المصدر نفسه ، ص 91.
(28) - المصدر نفسه ، ص 127.
(29) - ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، 2010، ص175.
(30) - المصدر نفسه ، ص 207.
(31) - المرجع نفسه ، ص 45.
(32) - ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة ، ص 229 ، 230.
(33) - المصدر نفسه ، ص224.
(34) - المصدر نفسه ، ص 135.
(35) - المصدر نفسه ، ص 347.
(36) - المصدر نفسه ، ص 449.
(37) - المصدر نفسه ، ص 427.
(38) - المصدر نفسه ، ص 435.
(39) - المصدر نفسه ، ص 442.

قائمة المصادر والمراجع

- ✓ تجارب في الأدب والرحلة ، أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983.
- ✓ جريدة الشهاب ، عبد الحميد بن باديس ، ج1 ، م5، فيفري 1930.
- ✓ دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله ، دار الآداب ، بيروت ، د.ط ، 1966.
- ✓ ديوان مُحَمَّد العيد آل خليفة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط3 ، د.ت .
- ✓ رحلة مع الشّعر العربي ، مُحَمَّد المختار ولد أباه ، مركز نجيبوَيه للطباعة والنشر، مصر ، القاهرة، ط2، 2001.
- ✓ شاعر الجزائر مُحَمَّد العيد آل خليفة ، أبو القاسم سعد الله ، الدار العربية للكتاب ، ط3.
- ✓ شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، أحمد دوغان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 .
- ✓ الشّعر الجزائري الحديث : اتجاهاته وخصائصه الفنية ، مُحَمَّد ناصر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 19.

- ✓ الشّعر الديني الجزائري الحديث ، عبد الله الركيبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ط ، 1981.
- ✓ شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مُحَمَّد الهادي السنوسي الزاهري ، ج2 ، مطبعة النهضة ، تونس ، 1926.
- ✓ صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث ، عمر بن قينة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ط ، د.ت .
- ✓ اللّغة ومستقبل الهوية ، ضياء الدين زاهر ، أوراق، وحدة الدراسات المستقبلية ،مكتبة الاسكندرية، العدد: 24، 2017.
- ✓ مُحَمَّد العيد آل خليفة ، رائد الشّعر الجزائري الحديث أبو القاسم سعد الله ، دار المعارف، مصر، ط2 ، 1975 .
- ✓ مُحَمَّد العيد آل خليفة شاعر الجزائر ، حسن فتح الباب ، الدار المصرية اللبنانية ، ط2 ، 2004 .
- ✓ النهضة العربية في الجزائر في القرن الرابع الهجري، سعد الدين بن أبي شنب، مجلة كلية الآداب ، جامعة الجزائر، العدد الأوّل ، 1964.
- ✓ الهوية والتعليم ، سعيد إسماعيل علي، عالم الكتب، القاهرة، دط،2005.